■ الباب الخامس ■

آثار «نظـام المـلك» الثقافيـة

مؤلفاته : سياسة نامة ، بند نامة .

رسائله ، و أماليه في الحديث .

● الفصل الأول

سياسة نامة أو سِيَرُ الملوك

السياسة: معناها، وأهم المؤلفات فيها، تأييد نسبة الكتاب للمؤلف.

صلة السياسة بالدين، وصلة الدين بمكارم الأخلاق.

تمهيد : (السياسة والقصد منها، والمؤلفات المهمّة فيها) :

لم يكن لفظ ـ السياسة ـ واضح الدلالة، بيِّن القصد كما وصلنا إليه فى العصر الحديث، فقد كان عامّا إلى وقتٍ قريب، يطلقه الباحثون على مجموعة الروابط التى تربط الفرد بنفسه وبغيره وعلى صلات الجماعات بالحاكمين وعلاقات الحكومات بما جاورها من دول، وموقف الأقوام كأفراد ومجتمعات من اللّه ـ وبذلك يشمل كثيرًا من أنواع العلوم والفنون الاجتماعية التى استقلت فيما بعد، ولذلك لم تجد تعريفًا علميّا للسياسة يحدد معناها بأقل من ذلك المعنى الواسع الذي يعم المُثُل والأخلاق والشريعة والقوانين.

ولو ألقينا نظرة فاحصة على الدين لوجدناه قد تناول تلك المسائل جميعها لذا صار غاية ووسيلة فى وقتٍ واحدٍ آنذاك. وعلى الرغم من الجهود العلمية التى بذلها الباحثون فى القرون الخمسة حتى عهد «النظام» فإن هذا اللفظ ـ السياسة ـ مازال عائمًا يتأرجح، وسيبقى ما بقيت حقيقة الخير والحق والعدل رائد الإنسانية الأول وهدفها الأخير. ولهذا قيل: السياسة لفظ معرّب ومركّب أصله «سه يسا» أولى الكلمتين: فارسية بمعنى ثلاثة. والثانية: مغولية بمعنى الترتيب، أى التراتيب الثلاثة وسببه كما فى النجوم الزاهرة: أن ـ جنكيزخان ـ ملك المغول قسّم ممالكه بين أولاده الثلاثة وأوصاهم بوصايا جعلوها قانونًا لهم وسموها بذلك، ثم غيّروها، فقالوا: سياسة[1].

وهو خطأ واضح لا يحتاج إلى تدليل.. فإن اللفظ عربى أصيل وقد وجد

---

(١) شهاب الدين الخفاجي ـ شفاء الغليل ص ١٠٦ ـ ط مصر.

في العربية واستعمل في نثرها وشعرها بمعان مختلفة قبل أن يظهر «جنكيزخان» ويغزو بجحافله البلدان الآمنة ويطمس معالم المدنية والحضارة.

غير أن واحداً من علماء اللغة العربيه البارزين يرى ان كلمة - السياسة- مشتقة من «السوس»[1]. . إلخ.

إن المعانى التى نمر بها ـ ونحن نستوفى النقول الخاصة بالسياسة ـ تدلنا على تطورها واختلاف مفاهيمها بمرور الزمن: فهى بمعنى الرياسة والتملك. . . ثم انتقلت إلى فعل السائس. . ثم القيام على الشىء بما يصلحه.

ومن الأول جاءت «السياسة» بمعنى القوة والقهر من أجل السلطة وهو الذى تناقلته أقلام المؤلفين حتى العصر الذى نؤرّخ له. «فالبيرونى» يقول: «ولكن أهل الدنيا ليسوا بفلاسفة كلهم وإنما أكثرهم جهّال لا يقوّمهم غير السيف والسوط، ومنذ تنصّر ـ قسطنطيوس ـ المظفر لم يسترح كلاهما من الحركة فبغيرهما لا تتم السياسة»[2]. وفى ضوء هذا المعنى يمكننا تفسير اعتداءات السلاجقة وقسوتهم فى بداية تأسيس الدولة وعدم تورعهم عن السلب والنهب والقتل وهتك الأعراض مما نفّر الناس منهم[3].

ومن الثانى جاء معنى المسايرة والمداراة الذى نقرأه فى رسالة ـ عبد الحميد الكاتب ـ إلى الكتّاب إذ نراه يخاطبهم بأن سائس البهيمة إذا كان مسيّرًا سياستها التمس معرفة أخلاقها فإن كانت رموحاً لم يهجها إذا ركبها وإن كانت شبوبًا. . وهكذا. إلى أن يقول: «وفى هذا الوصف من السياسة دلائل لمن ساس الناس وجرّبهم وداخلهم»[4].

ومن الثالث كان معناها: استصلاح الخَلْق وإرشادهم إلى الطريق المستقيم المنجّى فى الدنيا والآخرة[5]. ولعل هذا آخر ما توصلت إليه السياسة من معنى، وهو تفسير قاله ـ الغزّالى ـ المعاصر «للنظام» من مشاهير الفقهاء الذين

(١) ابن منظور ـ اللسان ـ مادة سوس جـ ٧ ص ٤١٢.
(٢) البيرونى ـ تحقيق ما للهند من مقولة ص ٢٨٠.
(٣) المنتظم ـ حوادث سنة ٤٤٧- ٤٤٨هـ.
(٤) انظر: مقدمة ابن خلدون ص ١٢١.
(٥) الغزالى ـ الإحياء جـ ١ ص ١٢٧.

حضروا مجلسه وتأثر بهم، واعتمد عليهم فى التدريس بنظامية بغداد، إذ السياسة تنظيم لامكانيات الإنسان يكون الغرض منه استخدام ما فى الطبيعة من قوى لخيره وفائدته، وبهذا تشمل ما ذكرناه من التشكيلات الإدارية والقوة لغرض النفوذ وتوجيه الناس إلى ما تراه الحكومة خيرًا لهم فى الدارين.

ومن هنا بدأ تقسيم السياسة إلى أقسام: تارة بحسب الطبقات الاجتماعية وأخرى من حيث المكان الذى تسكنها، فقسّمها «ابن طباطبا» إلى أصناف ثلاثة تختلف باختلاف طبقات الرعيّة، فالأفاضل يساسون بمكارم الأخلاق والارتشاء اللطيف، والأوساط يساسون بالرغبة الممزوجة بالرهبة، والعوام يساسون بالرهبة وإلزامهم الحد المستقيم، وقسرهم على الحق الصريح[1]. وقسّمها غيره وهم كثيرون إلى تدبير المنزل والقرية ثم المدينة، واعتبروا علم تدبير المدنية هو أهم فروع الحكمة العملية الثلاثة[2] كما جعلوا السياسة المدنية أعلى أنواع السياسات لأنها ترمى إلى تكوين مجتمع يقوم أفراده بما ينبغى أن يكونوا عليه من أداء للواجبات دون حاجة إلى حكّام، وإنما بدافع من خُلُقهم وأنفسهم، وهو ما يسمى «بالمدينة الفاضلة» أى «الأتيوبية» عند الحكماء[3].

والفضيلة هى الحصيلة الباقية لدى الإنسان حين يعجز العقل وتقصر العدالة عن بعث نوازعه الروحية لدعم صلاته بأخيه الإنسان دون طمع فيه أو خوف منه.. وهى التى لم يستطع حتى الآن أن يجمع على احتقارها أو الاستهانة بنفعها أو التباهى بالتحلل منها مهما تنكر لها فريق من الناس فى بعض ساعات غروره أو طيشه أو طغيانه، وتغلّبت قوى الشر فى نفسه.

ومن هنا بدأت صلة السياسة بالأخلاق تظهر، كما بدت علاقة الأخلاق بالدين تتضح. وكان الإسلام أكثر حرصًا وأشد إمعانًا ممن سبقه فى الدعوة لها حتى أوثر عن الرسول (صلى اللّه عليه وسلم) أنه قال: «بعثت لأتمم مكارم الأخلاق».. أمّا الصلة بين الدين كمعتقد شعورى ذى وعى وإرادة واختيار وبين

(١) الفخرى فى الآداب السلطانية ص ٢٦، وكتاب تفسر ـ ترجمة الخشّاب ص ٣٩.

(٢) كشف الظنون جـ ١ ص ٣٧.

(٣) ابن خلدون ـ المقدمة ص ١٤٨.

الأخلاق كسلوك مثالى يربط بين الناس أفراد وجماعات فإنها تبدو واضحة بلفظ «المروءة» التى هى جماع ما قيل فى صاحب الرسالة: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾[1]. جما جاء فى القرآن الكريم.

وتكون أكثر وضوحًا حينما نعرف أثر الضمير فى السلوك، وأن تصرفات الفرد مع غيره تتجاوب مع يقظته وغفوته، وحياته ومواته، فإذا لم يشعر الظالم بوخز وتأنيب فى أعماق ضميره صار مواطنًا فاتكًا، أو حاكمًا جبارًا عاتيًا.. وهذه الناحية الخلقية هى مهمة الدين الأساسية ووظيفته الأولى.

وأمّا العلاقة بين الخُلُق كتلبية لنداءات جاء بها الدين وتواضع عليها أفاضل الناس وبين السياسة كسلطة موجهة من أجل إسعاد الجماعات ورفاهية الأفراد فإنها تظهر جليّة كذلك بالغاية التى يتوخاها كلّ منهما.

ولم تكن الأخلاق أفكارًا تجريدية أو علمًا نظريًا يكفي اعتناقها بنظر الإسلام، إنما هى صفات طيبّة ولكنها عملية، ونوايا حسنة غير أنها تطبيقية جعلها من أوائل شرايط العقيدة ومن أهم خصائص «المعتقد»، لذلك لم تكن أيضًا عبادات مسجدية أو أعمالاً فردية فحسب، وإنما تشتمل حياته اليومية فى البيت وخارجه وتعم صِلاته بمواطنيه والناس جميعًا..

وعلى الرغم من الوشائج بين العناصر الثلاثة وسواء أكانت الأخلاق مُثُلاً ثابتة أم متغيرة حتى لتكاد تكون شيئًا واحدًا بنظرهم، فقد كانت السياسة الخلقية والقيم المثالية هى المقاييس التاريخية التى جرى بمقتضاها النقد التاريخى لحياة العظماء والتى بموجبها ارتفع مثلاً سهم ـ علىّ بن أبى طالب وعمر بن عبد العزيز ـ من الخلفاء الراشدين، والأمويين، بما أتوا من أعمال انسانية مجيدة، وهبط نصيب جنكيزخان وهولاكو وأمثالهما بما قاموا به من مجازر بشرية بين الأجناس والطبقات مما لم يقرّه الإسلام. وبذلك جمعوا بين آداب المعاشرة ونظم الحكم وتدبير شئون الرعايا، وكان من هذا الجمع كتب السياسة أو الآداب السلطانية التى وصلت إلينا لما بين هذه من روابط وغايات مشتركة..

وكان من جرّاء اهتمامهم بالسجايا وصفات الفضيلة أن نقرأ الكتاب فى

---

(١) سورة القلم، الآية ٤.

قوانين الملك والسياسة فلا نجد فيه سوى عناوين فى الحلم والكرم والعفو والسماحة وغيرها من الفضائل، حتى لتكاد تكون أشبه بكتب الوعظ والإرشاد منها بكتب نظم الحكم. ولكن إذا رجعنا إلى ما ألّفه ـ النظام ـ فى هذا الباب وهو كتابه فى السياسة نجده قد خرج على هذا الخليط الذى سار عليه المؤلفون، ولم يضع لتلك الخلال الحميدة والخصال الفاسدة بابًا واحدًا وإنما درجها جميعًا فى سطور قليلة، ختم بها الفصل الثالث والأربعين الذى تحدث به عن خطر تدخل النساء فى شئون الدولة[1].

لذلك يمكننا اعتبار «النظام» فى كتابه «سياستنامة» ممن سبق للتفريق بين تلك الموضوعات الثلاثة، وأخرج لنا كتابًا فى السياسة الإدارية موحد الفكرة واضح القصد إلى حدٍ كبير شرح فيه واجبات السلطان وموظفى الحكومة، وأبان فيه عن رأيه بصراحة لبقة عما ينبغى أن تسير عليه الدولة من نظم وأهداف مستشهدًا بالحكايات وعِبَرْ التاريخ والأمثال السائرة، فى حين حفل الآخرون بصفات الحاكمين ونقلوا أقاصيص الوعظ والحكم.

أهم المؤلفات فى السياسة :

وقد حفظت لنا الأجيال بعض الرسائل المهمة فى هذا الباب كانت ولاشك من الوسائل التى مهدّت لنضج التأليف فى السياسة، كما كانت من المصادر التى استقى «النظام» منها كتابه «سياستنامة».

يعتبر أرسطو أول فيلسوف أملى كتابًا فى هذا الموضوع ـ ثم تبعه ـ أفلاطون ـ منذ أربعة وعشرين قرنًا ٤٢٧-٣٤٧ق.م. بكتاب تخيّل فيه الدولة المثالية دعاه بـ«الجمهورية» سجّل فيه آراء أستاذه ـ سقراط ـ الذى أعدم بتهمة إفساد الشباب الأثينى ٣٩٩ق.م. وضمّنه أفكارًا عليا فى السياسة النموذجية، غير أن أرسطو قد جمع بين السياسة والأخلاق لاعتقاده أنها مجموعة من المثل النسبية التى تتغير بتغير الأمكنة والأزمان.

وانتقلت فلسفة اليونان فى الأخلاق إلى عقول فلاسفة الإسلام فأوصلت إليهم من نظريات درسوها، إلاّ أنهم ـ كما يظهر ـ لم يفصلوا بين جانبها

(١) سياستنامة ص ١٨٣ ـ الأصل الفارسى.

النظرى والعملى، فوصلت إلينا عدة رسائل فى هذا الخصوص كان من أهمها حسب تاريخها الزمنى: رسالة الخليفة ـ عمر بن الخطاب ـ إلى عامله أبى موسى الأشعرى فى القضاء وكيف يجب أن يكون وقد أثبتها الجاحظ فى بيانه. وإنى قتيبة فى عيونه، وإنى عبد ربه فى عقده، والماوردى فى أحكامه. ورسائل للإمام «علىّ بن أبى طالب» إلى عامله ـ مالك الأشتر النخعى ـ فى البصرة وإلى غيره[١]، ثم عهده إليه حينما ولاّه مصر سنة ٣٩هـ، وخطبته حول حقوق الراعى والرعية[٢]، ورسالة عبد الحميد بن محمد الكاتب إلى الكتّاب فإنه أورد فيها أحكامًا فى السياسة وآراء فى الحكم[٣]. ورسالة الصحابة لابن المقفع وقد كتبها لأبى جعفر المنصور وقد ضمّنها قواعد فى الملك والإصلاح وأشار فيها إلى بعض المشكلات الإدارية التى كانت تشغل أذهان الحاكمين فى ذلك الوقت[٤]، وعنى فيها بنظام الجند والقضاء وأهميته ثم الخراج بصفة خاصة، ثمّ رسالة طاهر بن الحسين لابنه عبد اللّه لّما أعطيت إليه ولاية الرقّة ومصر وما بينهما وما يجب أن يلتزمه فى الإدارة والمال والقضاء والجيش. وقيادة الجيش لقتال ـ نصر بن شبيب الخارجى ـ فانتشر أمرها وذاع صيتها حتى بلغت أخبارها مسامع «المأمون» فطلب إحضارها وسماعها فقال: «ما أبقى أبو الطيب شيئًا من أمر الدين والدنيا والتدبير والرأى والسياسة وإصلاح الملك والرعيّة وحفظ البيعة وطاعة الخلفاء وتقويم الخلفاء والخلافة إلاّ وقد أحكمه وأوصى به وأمر أن يكتب بذلك إلى جميع العمال»[٥].

وفى العقد الثانى من القرن الثالث الهجرى ألّف ـ أحمد بن أبى الربيع[٦] ـ

---

(١) نهج البلاغة: لابن أبى الحديد.

(٢) نهج البلاغة جـ٢/ ٢٢٣، ٢٢٤، وانظر: الراعى والرعيّة فى شرح عهد الإمام على إلى واليه مالك الأشتر للمحامى توفيق الفكيكى ـ ط بغداد سنة ٩٦٢هـ. وقد احتوى على شخصيّة الحكام وكيف ينبغى أن تكون، وانتقاء الموظفين الإداريين وطبقات الهيئة الاجتماعية والقيادة العسكرية والحرب والصلح والمعاهدات، ومسئولية الكتّاب الوزراء وأوصاف الوزير، ومبدأ سيادة الأمة وأثر التجار وخزينة الدولة وإنصاف طبقات العمال والإحسان كضمان اجتماعى بآداب الولاة... إلخ ص ٣١٥.

(٣) ابن خلدون ـ المقدمة.

(٤) محمد كرد على ـ رسائل البلغاء ـ ضحى الإسلام جـ١/ ٢٠٤.

(٥) ابن خلدون ـ المقدمة ص ١٤٨.

(٥) انظر: تحقيق ذلك للأستاذ السرنجاوى ـ التعريف بالكتابة.

كتاب سلوك المالك فى تدبير الممالك[1]، وقدّمه إلى محمد بن عبد الملك الزيات ـ وزير الخليفة المعتصم باللّه ـ العباسى وقد وضعه فى أربعة فصول جعل الثانى منها فى أحكام الأخلاق وأقسامها والرابع فى أقسام السياسات وأحكامها.

وفى الثلث الأول من القرن الرابع ـ أى قبل أقل من قرن على مولد «النظام» كان الفارابى المتوفى سنة ٣٣٩هـ/ ٩٥٠م شيخًا ناهز الثمانين يعيش فى حمى سيف الدولة الحمدانى فى حلب، وقد شهد بعينيه صراع الطامعين فى النفوذ، وانفصال الإمارات الصغيرة عن الدولة الكبرى، وتجزئة المملكة الأم إلى ولايات مستقلة منها دولة الحمدانيين التى يعيش فى فيئها وتحت رعاية أمرائها.

وقد قرأ الفارابى كثيرًا عن فلسفة اليونان وتأثر بأفلاطون ونظريته المثلى، فحفّزته مشاهداته وقراءاته إلى تأليف كتاب على غرار ما كتبه ـ أفلاطون ـ الذى كان يتخيل دولة مثالية يدير جهازها الفلاسفة؛ لأنهم أعلم بنفوس الناس وأعرف بحقيقة السعادة وأقدر على الإرشاد لما فيه خير البرايا، فكتب «المدينة الفاضلة» وتصور أن يكون الخليفة فيها فيلسوفًا لأن الخلافة أعلى مناصب الدولة كما أن الفلسفة أرفع منازل المعرفة.. ومع هذا فإن مدينة الفارابى تختلف عن جمهورية أستاذه فى دُنُوّها من الأرض التى كان يحيا عليها، وقُرْبها من واقع الحياة الذى كان يعيش الناس فيه[2]، وبُعدها عن ما يناقض معتقداتهم السماوية حيث يندمج فيها الدين والسياسة والفلسفة ودحض التضاد بين الحكمة ـ الفلسفة ـ والشريعة، تلك العصا التى كان أهل السنّة يلوّحون بها.

ولم يطلع القرن الخامس حتى ظهرت مؤلفات ـ ابن سينا والماوردى والغزالى ـ إلاّ أنهم لم يخرجوا فيما ألّفوه عن ربط الأخلاق بالدين وضمّها إلى السياسة فى كتبهم، وإنما اختلفوا فى مصدر الأخلاق ما هو: فقد أرجعها

(١) وقد طبع مرتين: مطبعة المعارف المصرية سنة ١٢٨٦هـ، وكردستان العلمية بمصر سنة ١٣٢٦هـ.
(٢) انظر: آراء أهل المدينة الفاضلة.

الرئيس الأول إلى تحكم العقل فى تصرفات الإنسان، والثالث إلى ذوقية الصوفية. وبهذا كانت رسائل هؤلاء لا تخلو من فصول خاصة فى الدين والأخلاق إلى جانب السياسة.

وكان ابن سينا المتوفى سنة ٤٢٨هـ فى كتابه الموجز الذى سمّاه بالسياسة،[١] والذى ساهم فى إتمامه تلميذه «الجوزجانى»[٢]، كما شارك البيهقى فى جمع ما وجده لابن سينا فى كتب أخرى[٣]، بعيدًا عن السياسة التى نعرفها اليوم، والتى عرفها «النظام» وألّف فيها بعده بقليل، فإنه فى محاولته الكتابة فى السياسة كان يذكر لنا حق الولد على والديه، وواجبه نحوهما وأمثال ذلك كواجبات الفرد نحو نفسه وغيره، على أن أوجه الشبه بين حياتهما لو أردنا معرفتها لتلمسناها بسهولة، فقد كان «ابن سينا» يخدم بعض الأمراء فى بلاد فارس وما وراء النهر وتردد على بلاطاتهم وخبر الحكم عند سلاطين آل سامان وآل بويه، عالمًا وطبيبًا تارةً ومستشارًا ووزيرًا أخرى، وكان أبوه من قبل يخدم آل سامان ببخارى، كما كان والد «النظام» فى خدمة آل سبكتكين قبل السلاجقة.. وكان ابن سينا هذا متخصصًا فى دراساته متبحرًا فى مختلف العلوم حتى أصبح رئيس الفلاسفة فى المشرق، فكان من المتوقع أن يكون كتابه فى السياسة يتضمن آراءه فى الحياة والناس أكثر من «النظام».

أمّا الماوردى المتوفى ٤٥٠ - ١٠٥٨ م، فقد وردنا عنه كتاب سمّاه - قوانين الوزارة وسياسة الملك - ودعاه ناشره لأول مرة بـ« أدب الوزير»[٤] وقد ضمّنه فصولاً فى وجوب تمسك الوزير بالدين والعدل والإحسان والرويّة والرضا والوعد.. ثم ينتقل بالحديث إلى الوزارة فيفصّل أقسامها وواجبات الوزير فى كل منها وحقوقه على السلطان، كأنه تلخيص وتتمة لما ذكره فى

(١) منه نسخة مصوّرة فى دار الكتب المصرية تحت رقم ٦١٧١ح، ونشر فى بيروت سنة ١٩١٦م.
(٢) ابن أبى أصيبعة - عيون الأنباء جـ ٢ ص ٢.
(٣) البيهقى - تتمة صوان الحكمة ص ٣٨.
(٤) الطبعة الأولى بمكتبة الخانجى بمصر سنة ١٩٢٢ م. كما نشر ضمن محتويات كتاب «الوقت من ذهب» لأحمد فريد رفاعى.

كتابه - الأحكام السلطانية - فى السياسة وتدبير الملك ويختمه بفصول فى الوصايا بتهذيب النفس والاستجابة والتواضع والشكر للّه على العلم ، والصبر فى الشدة والتودد إلى الناس والحذر من غدر الزمان إلى آخر ذلك فى نصائح كأنها البذور التى استثمرها «النظام» فى « وصاياه » أو مصادر الإلهام التى استوحاها فى بعض تصانيفه وبخاصة كتابه - السياسة .

وأمّا الغزالى - ت ٥٠٥هـ/١١١١ م - فإنه يبدأ كتابه الذى دعاه « نصيحة الملوك »[1] بفصول دينية فهو ينصح بها السلطان « محمد بن ملكشاه » الذى ألّفه وأهداه له بالشكر للّه على نعمه وأداء الفرائض والاعتقاد بالخالق وتنزيهه عن الكم والكيف ، وإثبات الصفات له والإيمان بعدله .. ثم ينتقل إلى أهميته فى الدولة ومعاقبة العمال والولاة إذا ظلموا وموقفه من الرعيّة ، وفى هذا الباب الأول لا يتعدى الوعظ والإرشاد والحكايات عليها والاستشهاد بأبيات من الشعر والحكمة والموعظة حتى ليكاد إذا جرّدنا الكتاب من القصص والأمثال لم يبق منه سوى بضع وريقات فى التمهيد لها لا تخلو من الإرشاد والنصح .. وفى الباب الثانى يتحدث عن الوزارة حديثًا مقتضبًا يذكر فيه ضرورتها للسلطان وواجباته نحو الوزير . ثم ينتقل فى الباب الثالث إلى وصف الكتّاب وآدابهم، وفى الباب الرابع إلى الملوك وبعض الحكايات عنهم، وفى الباب الخامس إلى الحكماء وبعض الحكم من أقوالهم ، وفى السادس إلى شرف العقل وبعض المأثورات فى مدحه، ثم يختمه فى الباب السابع عن طبائع النساء وصفاتهن وشرائط الزواج بهن .

فهو كتاب - كما رأيناه - بعيدٌ عن « السياسة » كعلم له قواعده وأحكامه وعن نظم الحكم كتشريعات وقوانين لتنظيم إدارة الدولة ، وهو - إذا أوردنا له

---

(١) وقد ترجمه إلى العربية أحد تلاميذه «صفى الدين أبو الحسن على بن مبارك بن موهوب الدربلى» باسم «التبر المسبوك فى نصيحة الملوك» نشرته المطبعة التجارية بمصر. راجع ابن خلكان الوفيات جـ ٢/١٤ ط طهران، واليافعى وقائع سنة ٥٠٥ هـ، والصفدى ترجمة الغزالى ، والقزوينى فى تاريخ العجم، وروضات الجنات فى ترجمة مجد الدين مبارك .

تصنيفًا - فى صميم علوم الدين والأخلاق، وبهذا يختلف عن كتاب «السياسة» لوزيرنا «النظام» فى موضوعه وتبويبه وفى أسلوبه وطريقة عرضه، ومن مؤلفات الغزالى - المنقذ من الضلال - وفيه بحث أهداف العلوم ومنها - علم السياسة - وكذلك كتابه - سر العالمين - يبحث فيه نظام الحاكم .

* * *

- سياستنامة وزمن تأليفه ونشره :

وفى ذات يوم من سنة ٤٨٤ هـ / ١٠٩١ م طلب السلطان ملكشاه من كبار موظفيه أن يقدموا له تقريرًا ضافيًا عن الأوضاع السائدة فى المملكة على أن يتضمن المساوئ والنواقص التى يلحظونها ، والتوصيات والخطط الممكنة لعلاج المشكلات التى يرونها .. حيث أحسّ بالنقص والفساد يدب فى أوصال الدولة التى وسعت أكبر رقعة عرفها التاريخ فى القرون الوسطى ، وشعر بخطورة البدع الخبيثة التى ألحقت الضرر بها، واختلال الأحوال الإدارية التى ستقضى عليها .

فى هذه الظروف الراهنة طلب من وزيره وأعيانه ونوابه أن يضعوا تقريرهم حول نظم الحكومات وتقاليد الملوك فى تدبير الممالك ، ولم تثبت النصوص التى وصلت إلينا سوى أربعة من أبرز شخصيات البلاط السلجوقى يومذاك كانوا كطرفى رهان فى حلبة السباق لنيل رضا السلطان والتودد إليه والتنافس على أرقى المناصب والفوز بها وهم : شرف الملك[١] ، وتاج الملك[٢] ، ومجد

(١) شرف الملك هو «أبو سعد محمد بن منصور الخوارزمى» - عيّن رئيسًا لديوان الزمام والاستيفاء فى عهد ألب أرسلان . وبأمر من سلطانه الأول بنى الضريح على قبر أبى حنيفه والمدرسة بجانبه لتدارس الفقه الحنفى . ثم عزل فى عهد ملكشاه وانزوى فى داره حتى مات سنة ٤٩٤ هـ / ١١٠٠م بأصبهان (العماد الأصبهانى).

(٢) تاج الملك - «أبو الغنائم المرزبان بن خسرو فيروز بن دارست»، كان خادماً للأمير ساوتكين مدة ثم قدّمه هذا إلى السلطان ملكشاه وزكّاه فقرّبه إليه وولاّه أمور حريمه وخزائنه وعهد إليه بديوان الطغراء والإنشاء ، ثم اتفق مع المنافسين للنظام ليكيدوا له حتى قضى عليه وعلى سلطانه ثم على نفسه بيد المماليك النظامية فى المحرم من سنة ٤٨٦ هـ (العماد الاصبهانى).

الملك[1]، وكان «النظام» فى مقدمة من طلب إليه ذلك، وقد حازت مذكرته دون زميلاتها رضا السلطان وقبوله حتى عبّر عن فصولها بأنها جاءت « وفق ما يشتهى فؤاده »، فلا موجب للمزيد. وأنه سيجعلها نصب عينيه يسير بمقتضاها فى الناس. فيجيبه «النظام» بأسلوب الحكيم، ويطمئنه على استقرار الأمور، وهدوء الرعيّة، وخضوع جميع الأقطار لصولته وخشيتهم من سيفه وهيبته، وأنه يعلم كل ما يجرى فى المملكة ولايحتاج إلى مشير أو دليل، وإنما أراد أن يمتحن عبيده ليعرف مقدار عقلهم، ودرجة علمهم، وأن هذا هو السبب الذى جعله يأمر هذا العبد أن يكتب له طرفًا من السيرة الحسنة التى لاغنى للملوك عنها [2].

لقد وردنا كتاب السياسة بأسماء أربعة: هى سياستنامة، وسير الملوك، وقانون الملك، وينجاه فصل وهى تدلنا على موضوعه، وحكايات التمثيل التى احتواه والتوصيات التى ضمّنه ثم عدد فصوله، غير أن الاسم الأول أصبح أكثر شيوعًا، على أنه - كما أعتقد - أبعد عن اسمها الأصلى ، فإن النصوص القديمة التى تلت عصر المؤلف تشير إلى هذا الكتاب باسم - سِيَر الملوك - كما ورد فى نصيحة الملوك للغزالى .

ولئن صحّ هذا يكون «نظام الملك» ممن سبق إلى اعتبار «سِيَر الملوك» صورًا من السياسة، لأنه وجد فى سيرتهم أمثلة حيّة عليها ونماذج ناطقة بالسياسة التى انتهجوها، لتحقيق الخير والعدل والرفاهية ونفى الشر والظلم والبؤس فى المجتمع الذى يسودونه، ولما بين سِيَر الملوك والسياسة من صلة وثقى بحيث

(١) مجد الملك - «أبو الفضل أسعد بن محمد القمى»، قام بأعمال الملك عند ما استوزر على أثر سخط السلطان ملكشاه على وزيره «النظام»، ثم قام بدور المنافس لمؤيد الملك بن «النظام» أثناء وزارته لبركياروق وسعى ضده وفرّق بينه وبين أخيه الكبير فخر الملك حتى تغلب على الوزارة إلى أن قتل على يد الغلمان النظاميّة سنة ٤٩٢ هـ / ١٠٩٨م

(٢) سياستنامة - مقدمة الناسخ ص ١ ، ٢ الفصل الأول فارسى .

يمكن أن يكونا شيئًا واحدًا بنظرهم آنذاك، ولأنها قبل أن تكون علمًا مستقلاً ذا قواعد خاصة ومؤلفات معينة، إنما كانت تعرف من ـ سِيَر الملوك ـ الذى أمدّها بكثير من أصوله ونظرياته وطرقه. وسواء جاء اللفظ ـ سِيَر ـ بصيغة الجمع يريد به تراجم حياتهم أو المصدر يقصد به عاداتهم وتقاليدهم فى إدارة دفة الملك فإنه من أوائل المعانى التى كان يتوخاها «النظام» فى كتابه، ولذلك أطلق عليه هذا الاسم ـ سِيَر الملوك ـ خلال حديثه مع السلطان، ثم اشتهر بعد ذلك باسم ـ سياستنامة ـ وطغت هذه الشهرة على اسمه الأصلى.

والكتاب ـ كما يظهر ـ فى إدارة الدولة وتنظيماتها الحُكْمِيّة وليس فى السياسة خاصة عدا نظرات متناثرة قالها فى ثنايا العبارات الطويلة وفى خواتم بعض الفصول وفواتحها تعبّر عن آراء له فى تعريف شئون المملكة، وتكشف عن فلسفته فى الحكم والهدف من تكوين الدولة... ولعل اشتهاره باسم ـ السياسة ـ يعود لتلك المتفرقات فيه لأنها الغرض الأساسى من تأليف الكتاب، ولأن النظم الإدارية من وسائل تحقيق هذا الغرض، ومن المعانى التى يشملها لفظ السياسة آنذاك.

ويكاد يجمع الباحثون أن «النظام» شرع فى تأليفه وتقديم القسم الأول من فصوله سنة ٤٨٤هـ أى قبل اغتياله بعام واحد. ويرى بارتولد ـ أن المؤلف قدّم إلى الناسخ ـ محمد المغربى ـ وهو على أهبة السفر إلى بغداد سنة ٤٨٥هـ/ ١٠٩٢م أحد عشر فصلاً إضافيًا بشرط ألاّ يسلمها إلى السلطان إلاّ بعد موته[1].

وقد استقى هذا الرأى من مقدمة الناسخ وخاتمة الكتاب، وهو غير صحيح لأن المؤلف والناسخ لم يقولا بذلك، ولأن «النظام» لا يعرف متى وكيف يموت، وإن تنبأ بذلك، ولأن البحث عن الباطنية وخطر مبادئهم على الدولة

(١) سياستنامة ص ٢٥٥ ـ الخاتمة فارسى.

جزء من التقرير المطلوب الذى يشعر «النظام» بضرورة اطلاع السلطان عليه، فلا داعى لإخفائه حتى يموت. . ولعل الذى أوقعه فى هذا الخطأ إنما هو الخطأ فى الترجمة التى اعتمد عليها مع اعترافه بعدم دقتها[1]، وأن كل ما قاله «النظام» عند تقديمه الفصول المذكورة للمغربى: «اكتبها بخط مشرق. . وإذا منعنى القدر من العودة فيمكنك عرضها أمام سيد العالم»[2].

ومن غير شك أن الأحد عشر فصلاً تنم عن ألم وحزن عميقين كان يعانيهما ـ النظام ـ بسبب المنافسين له فى الديوان وخارجه أمثال: «تاج الملك وحسن الصبّاح» ممّن استمالتهم الدعوة الباطنية حتى اتهم بها السلطان نفسه، واعتقاده بخطر هذه العقيدة على كيان الدولة ووجوب تنبيهه إليه لذلك كانت لهجته فيها تعبّر عن المرارة والضيق اللذين كان يشعر بهما.

والخلاصة: يمكننا القول بأن الكتاب مرّ فى ثلاث مراحل إلى أن وصل إلينا بشكله الذى بين أيدينا اليوم، الأولى: عندما وضعه ـ النظام ـ تلبية لأمر السلطان ملكشاه ـ وقدّمه إليه بين ثلاثة تقارير أخر من أقرانه فى تسعة وثلاثين فصلاً موجزة وكان قد كتبها على عجل وذلك فى عام ٤٨٤هـ كما تثبت النقول التى وصلت إلينا. . وثانى المراحل: حينما أعاد النظر فيه وزاد إلى كل فصل ما عنّ له وناسبه وأضاف إلى فصوله أحد عشر فصلاً فى البِدع والنِحل وخطورتها على المملكة وسلّمه إلى خازن الكتب، وهو على جناح سفره الأخير ليلحق بموكب السلطان الذى سبقه إلى بغداد سنة ٤٨٥هـ ليستنسخه حتى يرفعه للسلطان بنفسه إن امتد به العمر، ويقّدمه لأعتاب السلطان ليضاعف من يقظته إذا وافاه الأجل[3]. . وكانت ثالثة المراحل: عندما حانت الفرصة للخازن واستطاع أن ينفّذ أمر الوزير فنسخه وقدّمه للخزانة السلطانية مؤملاً أن يحظى

(١) بارتولد ـ تركستان ص ٢٥، إذ يرى أن ترجمة شيفر غير دقيقة أيضًا.

(٢) سياستنامة ص ٢٥٠.

(٣) سياستنامة ص ٢٤٩، ٢٥٠ ف ٥١ فارسى.

بالرعاية والقبول[1]. وذلك فى عهد السلطان محمد بن ملكشاه الذى حكم من سنة ٤٩٨هـ/ ١١٠٥-١١١٨م أى بعد مقتل «النظام» بأربعة عشر عامًا على أقل تقدير، وذلك بسبب المعارك التى استمرت بين أبناء ملكشاه من ناحية والاضطرابات الداخلية التى أحدثتها انتفاضات الباطنية من جهة أخرى.. وقد سوّغ الناسخ لنفسه أن يتصرّف فى بعض مضامين الكتاب وهو ينسخه فأضاف إليها عبارات الإجلال والتعظيم والدعاء بمناسبة تقديمه للسلطان الجديد، وحوّر وغيّر وبدّل وحذف ما شاء له ليتناسب مع العهد الجديد ولينال رضا السلطان ويشمله برعايته وعطفه، ولسنا ندرى ـ على وجه التأكيد ـ مقدار ما أضافه أو حذفه فى جمله وفقراته، وكل ما نستطيع التثبت منه هو أن عبث النسّاخ قد لحقه فوجدنا فيه بعض الأحداث التاريخية الخاطئة، والوقائع التى حدثت بعد «النظام» والموضوعات النابية التى يستبعد أن يثبتها قلمه.

وصدقت نبوءة «النظام» بموته ولم يعد إلى أصفهان حيًا ليرى ما عمله ـ المغربى ـ فى كتابه، وبقى كتاب السياسة ـ مخطوطًا يعبث بنصوصه النسّاخ ويحرّف فى عناوينه النقلة طوال ثمانية قرون مضت على اغتيال مؤلفه «النظام» الوزير الشرقى المسلم إلى أن هيأت له الأقدار باحثًا ليس من الشرق ولا من المسلمين، ذلك هو المستشرق الفرنسى ـ شيفر ـ فحقّقه ونشره سنة ١٨٩١م فكان أول من أخرجه إلى عالم النور، وأول من ترجمه إلى لغة أجنبية ثم ألحقه بملاحظات جغرافية وتاريخية سنة ١٨٩٣م، وبذلك أصبح من المتيسر الاطلاع على محتويات هذا الأثر النفيس، الذى كانت مخطوطاته نادرة جدًا[2].

لقد رجع ـ شيفر ـ قبل نشره النص إلى ثلاث مخطوطات:

أ - كانت منسوخة سنة ٦٩٠هـ/ ١٢٩١م.

---

(١) سياستنامة ص ٢ ـ مقدمة الناسخ فارسى.

(٢) براون ـ تاريخ الفرس الأدبى ص ٢١٢.

ب ـ نسخت فى مدينة ـ أحمد أباد ـ سنة ١٠٢٢هـ/ ١٦٣٢م عن مخطوطة قديمة كتبت سنة ٥٦٤هـ/١١٦٨م بأمر الأمير حاجب ـ ألب جمال الدين.

جـ ـ جرى استنساخها فى الهند فى ١٠ شوال سنة ١٠٥٨هـ/ ٢٩ تشرين الأول سنة ١٦٤٨م عن نسخة سابقة خطت عام ٥٦٤هـ.

ثم قوبلت نسخة ـ شيفر ـ المصحّحة بالمخطوطتين فى مكتبة بطرسبورج بروسيا سنة ١٨٩٠م[١]. وقد عانى الناشر كثيراً من المتاعب وبذل كثيراً من الجهود للتغلب على تغييرات الناسخين وتصحيفاتهم سواء بدوافع مذهبية أو نتيجة للجهل. وإن كتابًا كهذا فى موضوعه الواسع المتشعب، ولغته الأجنبية ليس من اليسير تدقيقه وإخراجه فضلاً عن ترجمته وإصدار ملحق له.

- منابع الكتاب والشك فى نسبته:

مما قاله «النظام» وهو يقدم لكتابه هذا ويذكر أسباب تأليفه: أنه دوّن ما عنّ له من مشاهداته ومحفوظاته ومسموعاته ومقروءاته نزولاً على الإرادة السلطانية السامية[٢]. ونحن إذا رجعنا إلى الكتاب وجدنا آثار ما قاله واضحة جليّة، لا تحتاج إلى بيان أو برهان، فإن سماعاته من أعلام مجلسه فى الحديث والأمثال، ومطالعاته الخاصة فى كتب السير والتاريخ والآداب، ثم نتائج تجاربه وخبراته التى أفاد منها باختلاطه فى مختلف المجتمعات وإدارته للحكومة فى السلم والحرب. متوافرة فى ثنايا فصوله.

كل هذه المنابع كانت موردًا يستقى منه وهو يدوّن رسالته فى السياسة ونظم الحكم، إلاّ أننا فضلاً عن معارفه العامة نستطيع تعيين بعض المصادر التى أخذ عنها واعتمد على أقاصيصها ومنها: (پيشتكان) كتاب القدماء، و(مزدك نامة) وهو كتاب عن مزدك وصلاته بالملك قباد. وقد عرّبه «ابن المقفع» نثرًا

(١) مقدمة شيفر ص ٢.

(٢) سياستنامة ص ٢ ـ خاتمة الفصل الأول (فارسى).

واللاحقى شعراً[1]، ثم نجده يردد بعض الأفكار التى جاءت فى جمهورية أفلاطون وقد شاعت فى الأوساط العلمية آنذاك حول السلطان وعلاقته بالسماء ومنحه العقل والعلم ليضع كل فرد من رعاياه محله اللائق به ويختار من يستحق لحاشيته ورجال دولته[2]. وحول فرض العقوبات على الذين تمتد أيديهم لأموال الناس من الولاة فإذا استغفر وتاب عفى عنه، وإلاّ فالحبس والتأديب.. وإلاّ فالعزل وتعيين من هو خير منه[3].. ومنها (شاهنامة الفردوسى) فقد تمثّل ببعض الحكايات بعد إيجازها مثل قصة: كيكاوس وزوجه سواذبه، وقصة الإسكندر وزواجه من ابنة دارا ملك الفرس[4]، ثم تاريخ البرامكة[5] فقد نقل عنه حكاية مجىء «برمك» إلى سليمان بن عبد الملك ـ مع اختلاف بسيط[6].

وفى طريقة عرضه للموضوعات سار على غرار سابقيه من حيث التبويب والتمثيل بالقصص والحكايات وإن خالفهم فى تحديد الموضوع إلى حد كبير ـ كما سنرى ذلك فيما بعد ـ ومن هنا كان التشابه بينه وبين بعض الكتب التى ألّفت للغرض ذاته وعالجت الموضوع نفسه، ومن هذه الكتب ما سبقت «سياستنامة» بعدة سنوات مثل ـ كليلة ودمنة ـ ومنها ما كان قريباً منه مثل: ـ قابوس نامة ـ لكيكاوس، ونصيحة الملوك للغزالى.. على أن ضرب المثل بالقصص فى ختام كل فكرة يختلف عند ابن المقفع الذى يحكيه على ألسنة الحيوان، عن الحكايات التى يرويها «النظام» لأحداث وقعت لأناس فى مختلف الأمكنة والأزمان، وكذلك الأمر بالنسبة للكتابيين الفارسيين المعاصرين فإن التشابه بينهما وبين «سياستنامة» وإن كان موجوداً يدفع بعض الباحثين إلى

---

(١) كرستنسن ـ تاريخ الساسانيين ص ٢٥٤، ٢٥٦ ترجمة الخشّاب وعزّام.

(٢) انظر: سياستنامة ص ٣، ٤ الفصل الأول.

(٣) المصدر السابق.

(٤) الشاهنامه (نشر عزّام) جـ ١ ص ١٥٥، ٣٨٨.

(٥، ٦) مؤلفه مجهول. نشره ميرزا عبد العظيم خان كركانى سنة ١٣١٣هـ باسم تاريخ برامكة.

دعوى التقليد للأول والنقل عن الثانى[1]. ويدعو فريقًا آخر إلى التشكيك فى نسبته إلى مؤلفه «النظام»[2] على أن الفروق بينهما كثيرة، وأن التشابه يكاد ينحصر فى سرد القصص وهو ـ كما أعتقد ـ ليس موضوع الكتاب ولا الغرض منه كما يظهر لقارئه. وفوق ذلك فإن الكتابين يبحثان «السياسة» بمعنى رعاية شئون النفس والأسرة والجماعة ثم علاقتهم باللّه، كغيرهما من الكتب التى خلطت بين الخُلُق والسياسة وبين السلوك ونظم الحكم، وصارت السياسة عندهم أدبًا فى السلوك متصلاً بالسماء ومستمدّا من سنن الرسل والأنبياء.

وقد يتطرق الشك إلى أذهان الباحثين فى نسبة الكتاب إلى «النظام» لأسباب أهمها:

أ - عدم ذكر الكتب الفارسية المعاصرة أو القريبة منها كتابًا بهذا الاسم الـ«نظام الملك»، وكذلك المصادر العربية التى ترجمت للوزير وكتبت عن السلاجقة والعصر الذى عاش فيه.

ب ـ ورود بعض الحكايات منها القبيحة ومنها الخاطئة التى يستبعد أن يثبتها شخص كـ«النظام» فى مؤلف له.

وممن يشك فى نسبة الكتاب إلى «النظام» الباحث الفارسى ـ إقبال[3] ـ وميرزا عبد العظيم كركانى[4] ثم أستاذنا ـ يحيى الخشّاب ـ إذ يرى مما يؤكد الشك فيه اختلاف أقوال الناسخ «المغربى» والمؤلف «نظام الملك» من ناحية، وعدد فصول الكتاب وكيفية تقديمها ونسخ الكتاب بعد مرور عدة أعوام تتراوح ما بين ثلاث عشرة سنة وست وعشرين على اغتيال «النظام» عند تقديمه للسلطان ـ محمد بن ملكشاه ـ الذى قدّم إليه الغزالى كتابه ـ نصيحة الملوك ـ

(١) مقدمة قابوس نامة صادق نشأت لأمين عبد المجيد.

(٢) الخشّاب ـ نظام الملك وسياستنامة ـ مجلة معهد الدراسات الإسلامية جـ ١ ص ٢٢٥- ٢٣٤.

(٣) مقدمة سياستنامة.

(٤) تاريخ برامكة ـ المقدمة.

فى نفس الموضوع واتفاق بعض الحكايات.. ثم قبول السلطان ـ ملكشاه ـ له فى وقت كان قد غضب على «النظام»، ونحّاه عن الحكم بينما رفض ما رفعه «تاج الملك» لأعتابه فى الوقت الذى كان هو المقرّب إليه، القائم بأعباء الدولة، فضلاً عن الأخطاء التاريخية التى وردت فى تضاعيف الكتاب[1].

ولم نجد ـ فى الواقع ـ من استعرض أسباب الشك فى نسبة الكتاب لصاحبه ثم انتهى إلى التساؤل عن تعليل هذه الأخطاء: أهى من جهل المؤلف أم من وضع الناسخ؟.. وإن جميع ذلك يحملنا على التأمل فيما يكون من وضع أحدهما[2]. بل إن «النظام» صاحب كتاب السياسة أمر يحتمل الشك[3].. كما وجدناه فى هذا البحث العلمى المركز.

غير أننا حينما نعود إلى تفاصيل عوامل الشك نراها لا تتجاوز ثلاث نقاط: تتصل بناسخ الكتاب والمشابهة بينه وبين نصيحة الغزالى، ثم تفضيله من جهة أو من قِبل السلطان على غيره من تقارير المقربين إليه. ولكننا إذا أمعنّا النظر فلا نجد أولاً ـ تناقضًا بين أقوال الناسخ والمؤلف، ولا تعارضًا بين تصريح الأول وإغفال الثانى، إذ ليس من الضرورى على «النظام» أن يعلن له بأنه قد أزاد على فصوله التسعة والثلاثين، أحد عشر فصلاً أخرى فى الباطنية ومدى خطورتها على الدولة لأنها جزء مكمل للكتاب من ناحية، وقد اعترف الناسخ بإضافته إليه حينما أعاده إليه فى المرة الثانية من جهة أخرى، ولأن كلمة «الزيادة» تشملها أيضًا فلا موجب للتصريح بها إذن بنظر «النظام». ومن جهة ثانية فإن تأخير استنساخه أربعة عشر عامًا لا يوجب الشك فى نسبته، لأن تاريخ تدوين الكتب أثبت لنا ما تأخر تبييضه أكثر من ذلك زمنًا، ثم نقل

(١) انظر: «نظام الملك» وسياستنامة. بحث ألقاه استاذنا المرحوم يحيى الخشّاب. فى مؤتمر المستشرقين الرابع المنعقد فى ميونيخ فى سبتمبر سنة ١٩٥٧م، وقد نشر فى مجلة معهد الدراسات الإسلامية باللغتين العربية والإنجليزية جـ ١ ص ٢٢٥-٢٣٤.

(٢) المصدر السابق ص ٢٣٠، ٢٣٤.

(٣) المصدر السابق ص ٢٣٠، ٢٣٤.

(٤) مثل: طبقات الشافعية للحافظ «تقى الدين أبى عمر عثمان بن الصلاح الشهرزورى» المتوفى سنة ٦٢٣هـ، فقد مات والكتاب مسودة فأخذه الشيخ «أبو زكريا يحيى بن شرف النووى».. ومات أيضًا والكتاب مسوّدة فبيّضه الحافظ «أبو الحاج يوسف بن الزكى».

ونسب إلى مؤلفه دون ريب فيه[٤]. وإذا صحّ نقل ـ الغزالى ـ الذى توفى سنة ٥٠٥هـ/ ١١١١م عنه وأنه قدّم كتابه «النصيحة» إلى السلطان ـ محمد بن ملكشاه ـ فى شهور سنة ٤٩٩هـ[١] فإن هذا يحدّد لنا أن استنساخه كان قبل وفاته بستة أعوام أى أن المدة بين تقديمه الكتاب للناسخ ونسخه لا تتجاوز ١٤-٢٠ سنة على أكثر تقدير وأنه لا مجال للقول بأنها تتراوح ما بين ١٣-٢٩سنة.

أمّا المشابهة بين الكتابين «السياسة والنصيحة» فى توافق بعض الحكايات فإن الفروق بينهما فى التبويب والأسلوب وحتى فى الموضوع تفوقها بكثير مما يجعلنا نطمئن كل الاطمئنان إلى أن التشكيك فى نسبة الكتاب إلى «النظام» من هذه الناحية غير مؤكدة، لأن كتاب «الغزالى» ليس فى السياسة وإنما هو فى الأخلاق والسلوك وأنه دعوة صارخة إلى الزهد والتصوف ـ كما رأينا ذلك من قبل ـ وأنه قد اطلع على «سير الملوك» «للنظام» وربما نقل عنه كما نص على ذلك فى حكاية إسماعيل السامانى[٢] إذ لا نظن كتابًا عرف بهذا الاسم فى تلك الفترة غيره، وبخاصة بالنسبة للغزالى الذى صاحب ـ النظام ـ وجالسه، وربما كان لشهرة مؤلفه قد استغنى عن ذكر اسمه.. وممن يؤيد فكرة النقل هذه ـ إقبال[٣] وهمائى[٤] ـ وكلاهما حجة فى هذا الباب لا يتطرق الشك إليهما فى دقة البحث وتجردهما فى الحكم.

وليس «الغزالى» وحده قد تفرّد بالنقل عن كتاب ـ السياسة ـ وإنما شاركه ـ ميرخوند ـ فى كتابه ـ روضة الصفا ـ فنقل عنه قصة عمرو بن الليث وذكر أنه حكاها «النظام» فى وصاياه، فى حين أنه لم يذكرها إلاّ فى كتابه «السياسة».[٥] ويقع فى الخطأ نفسه حفيده ـ ميرخوند مير ـ فى كتابه «حبيب السِير»[٦]، لأنه

(١) مقدمة نصيحة الملوك لجلال همائى.

(٢) نصيحةالملوك ص٦٢ (الأصل الفارسى)، والتبر المسبوك فى نصيحة الملوك ص ٥٧، وسياستنامة.

(٣) مقدمة سياستنامة.

(٤) مقدمة نصيحة الملوك.

(٥) روضة الصفا وسياستنامة.

(٦) حبيب السير جـ ٣ ص ٩٥.

ربما نقل عن جده، وليس عن أحد الكتابين المذكورين. ثم ينقل ـ ميرخوند ـ قصة ـ حسن الصباح وعمر الخيّام ومعاهدة «النظام» لهما زاعمًا أنه رواها فى سياستنامة مع أنه ذكرها فى الوصايا وحدها[1]. وهذا يدلنا على أن الكتابين كانا معروفين لدى المؤلفين ولكنهما يختلطان عليهم فى الاسم وربما كان هذا الخلط أيضًا من صنع الناسخين الذين يستبدلون عنوان كلّ منهما للآخر.

وليس هؤلاء ممن عرف الكتاب ونقل عنه فحسب وإنما أخذ عنه ـ هندوشاه ـ فى كتابه «تجارب السلف»[2] الذى ألّفه فى أواخر سنة ٧٧٤هـ، كما نقل عن «النصيحة النظامية» أيضًا.

أمّا ظفر تقرير «النظام» بالقبول دون غيره فيمكننا تفسيره بما كان يتضمنه من حقائق عرضها بأسلوب المؤمن الصريح، وإلى ما يحتويه من موضوعات سطّرها بلهجة العارف الخبير مما لم يره السلطان فى التقارير الأخرى التى قدمت إليه، بعد أن بلغ من السنّ والتجربة بحيث يعتمد على نفسه فى الحكم وإبداء الرأى وحسن الاختيار.

كل هذا يدلنا على أن هناك «للنظام» كتابين أحدهما فى «السياسة» والآخر فى «الوصايا»، ولكن الشكّ إذا تطرّق للباحث فإنما هو فيما دخلهما من تحريف وتصحيف، وإضافة وحذف، بحيث أصبح بعض الموضوعات لا تلتئم ومعرفة المؤلف ولا تتفق وحقيقة التاريخ. وهذا إنما يرجع ـ فى أغلب الظن ـ إلى فعل النسّاخ وجهلهم شأن المخطوطات الأخرى التى عبثت بها أقلام الناسخين بمرور الأزمان.

وفضلاً عن ذلك فليس غريبًا أن يكون «النظام» مؤلفًا، وليس كثيرًا عليه أن يؤثر عنه كتاب فى «السياسة» وآخر فى «الوصايا» مع علمنا بأن التأليف من خصائص الوزراء فى تلكم العصور وبخاصة الفرس فقد ترك لنا هؤلاء من

(١) روضة الصفا، والوصايا ص ٢٩-٣٥.

(٢) تجارب السلف ص ١٩٥، ٢٧٤، ٢٧٩.

المؤلفات ما يدل على طول باع، وقوة يراع، وفكر نقّاد، وذهن وقّاد حتى صار التأليف من ميزاتهم، وعادة أليفة لهم.. ودليلاً على ذكائهم وخبراتهم أمثال: رسائل عبد الحميد الكاتب، وابن المقفع.. لاسيما فى موضوعات الأدب والسلوك والأخلاق والسياسة.. وقد ألّف منهم فى اللغتين العربية والفارسية مثل: أبو الفضل محمد بن عبد الله البلعمى[1] البخارى المتوفى سنة ٣٢٩هـ وزير إسماعيل بن أحمد السامانى مؤلف كتاب «تلقيح البلاغة»، وأبو عبد اللّه أحمد بن محمد الجيهانى وزير الأمير منصور بن نوح مؤلف كتاب ـ آيين نامة ـ وعهود الخلفاء والمسالك والممالك[2] وأبو الحسين أحمد بن محمد السيلى المتوفى سنة ٤١٨هـ بسامراء[3]، وزير خوارزمشاه على بن مأمون وابنه مأمون الثانى وله كتاب «الروضة الهيلية» فى الأوصاف والتشبيهات.. ولمّا جاء البويهيون كان من وزرائهم أبو الفضل ابن العميد وابنه أبو الفتح.. ثم الصاحب بن عباد، وكلهم أسهم فى التأليف كما هو معروف لدى الباحثين.

وفوق ذلك فإننا لم نعرف بين المستشرقين من نفاه عن صاحبه، وإن توقف فى صحة بعض مادته، ومن الفريق الأول الذى يؤيد نسبته إلى مؤلفه ويعتمد على أحداثه ـ بارتولد ـ إذ يعتبر أنه لا توجد مخطوطة يصح أن تكون وثيقة تاريخية فى دراسة بلاط السلاجقة ونظم الحكم فى القرن الحادى عشر[4] غيرها، ومنهم ـ شيفر ـ الذى حمله الاعتقاد بصحة نسبته «للنظام» ليبذل جهودًا مضنية لإخراج الكتاب وترجمته، واعتماده على ما تضمنه من معلومات عامة ووقائع تاريخية[5]. ومنهم ـ برون ـ الذى يعد كتاب «سياستنامة» هو الأثر

(١) السمعانى ـ الأنساب، مادة بلعمى. ومعجم البلدان ـ مادة بلعم. وكشف الظنون فى تلقيح البلاغة.

(٢) وقد أخذه ابن الفقيه الهمذانى وبدّل فيه ونسبه لنفسه، كما روى ياقوت فى معجمه.

(٣) ياقوت ـ معجم الأدباء جـ ٢ ص ١٠٢.

(٤) تركستان ص ٢٥.

(٥) مقدمة سياستنامة ص ٢.

الأدبى النفيس الذى اختصت به تلك الحقبة التاريخية الممتعة، والذى يعدّه أهم وأثمن مؤلّف ظهر فى الفارسية بالكلام المنثور فضلاً عن النظريات والآراء الإدارية السياسية التى سجلت فيه بقلم أكبر وزير ظهر فى الشرق ـ على حد تعبيره ـ فى ذلك العصر[1]. . ومن الفريق الثانى الذى يعتقد بصحة نسبته للوزير ولكنه يشك فى الركون إلى المادة التى يحتوى عليها المستشرق الألمانى ـ نولدكه ـ إذ يأتى بمثل على ذلك فى قوله انتماء ـ طاهر بن أحمد ـ إلى الإسماعيلية، مع علمنا بأن تأييد هذا الحادث وإن لم يذكره المؤرخون[2] غير أن «ابن النديم» قد ذكره فى الفهرست[3].

كل هذا يوصلنا إلى أن التشكيك فى نسبة الكتاب إلى الوزير لا يدعمه سند قوى ولا يسنده برهان قاطع جلىّ. . وينتهى بنا إلى أنه بقدر تأكدنا من صحة نسبته نقطع جازمين بانتحال بعض الفقرات وتبديل بعض العناوين والعبارات، كما شمل بعض فصوله التقديم والتأخير، ولكن هذا جميعه لا ينقص من قيمة الكتاب ولا يقلّل من شأنه بين المراجع المهمّة فى إدارة الدولة السلجوقيه التى تلقى لنا ضوء على دراستنا لنواحى الحياة فى الشرق الأوسط حينذاك، وتكشف لنا عن مدى فهم «النظام» لها وطريقة علاجه لمشاكلها.

ـ أسلوبه وموضوعه:

لقد عنى «النظام» فى تقريره بدراسة المسائل السياسية والتنظيمات الإدارية لدولة مثلى، يسعد فى ظلالها المواطنون تحت رعاية ملوكهم العادلين، وحكامهم الأمناء العارفين. . مغتنمًا الفرصة لإبداء رأيه فى هذه الشئون، وكيف ينبغى أن تكون، مخالفًا بذلك الأسلوب الذى انتهجته التقارير الرسمية المألوفة من وصف لمظاهر الجهاز الحكومى وتصوير لأحوال الرعايا، خلوّا من

(١) تُركستان ص ٢٥.

(٢) مقدمة سياستنامة.

(٣) تاريخ الأدب الفارسى ص ١١٢ - ١١٨.

الآراء الشخصية بعيدًا كل البعد عن النقد والتحليل النافعَيْن فى تطور الدولة وأسلوب الحكم فجاء بذلك كتابًا ضخمًا يحوى خمسين فصلاً. . وقيل واحدٌ وخمسون، وكان سجلاً حافلاً بذكريات مريرة، وخلاصة لتجارب قاسية عاشها «النظام» ثلاثين عامًا فى أعباء الوزارة.

وكانت ثقافة «النظام» كما عرفنا فارسية عربية، وكان متمكنًا من لغته الفارسية قدر تضلعه بالعربية بارعًا فى الحديث بهما قدر استطاعته الكتابة وتذوقه لأسرار البلاغة فيهما. . وقد ظهر أثرالثقافتين فى موضوع الكتاب وأسلوبه فكان كما قال هو عنه: «إنه كتب هذه الفصول القلائل على وجه الاختصار، وبعبارة واضحة قريبة المنال بعيدة عن المعنى الغريب والعسير، حتى يتم للقارئ فيه الصواب»[1]. وبهذا كان على اختصاره موسوعة ثمينة يستفيد منه كبار المثقفين لما يعرضه من ألوان الفكر والآراء فى السياسة والاجتماع كما يستمتع به صغار المتعلّمين لما يستعرض من أحداث التاريخ وأقاصيص الماضين وسير الحاكمين، ولا يقلّ إفادة منه ومتعة رجال الدين لما فيه من وعظ وعبر وإرشاد وخِبَرْ، ويجد فيه هؤلاء جميعًا تجاوبًا لما تعلّموه، واستجابة لما يريدون أن يتعلموه.

وكانت عقيدته الإسلامية تلازمه أينما حلّ وارتحل ومتى كتب أو تكلم، لذا رأيناه كثير التضمين لآيات القرآن والحديث[2] والأمثال والحكم، قليل الترصيع بالشعر، جرىء الرأى صريح العبارة تحسّ وأنت تقرأ له وهو يستعرض آراءه فى الملك والسياسة وواجبات السلطان نحو الرعيّة وتحقيق العدل والمساواة والقضاء على الطغاة من الولاة والمشاغبين والمبادئ الخبيثة، أنه صوتٌ مؤمن يسترسل فى ثقة وإخلاص وصدق واعتداد، وتشعر وأنت تسير معه أنه يتحدث مع السلطان بأسلوب الحيىّ المتحفظ الذى يليق بمقام الملوك.

---

(١) سياستنامة ف ٥١ ص ٢٥٢.

(٢) سياستنامة ف ٤٢.

ولم يكن أسلوبه على بساطته وسلاسته سهل التقليد يسير المماثلة لأنه ـ كما أعتقد صادر عن حرارة إيمان وحياة وجدان ليسا من السهولة واليسر أن يوجدا فى كل شخص ليكوّنا له منبعًا فيّاضًا فى الإيحاء والتعبير. . .

وكان يكتب بعنف وجرأة أحيانًا مستوحيًا ذهنيته الخصبة معبرًا عن انفعالاته المتوقدة ونفسه الجائشة. . الغاضبة، وكان أكثر جرأة وأشد صراحة فى إضافاته وزياداته فقد صوّر لسلطانه مفاسد المجتمع ومباطل الحكام، وتكابر الأراذل وتصاغر العظماء وتزلّف الأدباء وذوى المطامع فى المناصب، كما حدّثه بحرارة وتفصيل عن الشرور والمفاسد فى تدخل النساء بشئون الحكم، ونشاط الباطنية لهدم الدولة، ولم يذكر ـ ابن الصباح ـ صراحة ولكن إشاراته الخفيّة[1] تدل على ذلك وتندّد بحركته، ولعل مقتضيات السياسة أو الصداقة فرضت عليه تجاهل اسمه. . كل ذلك بأسلوب تهكمى ناقد قلّ أن نجد له نظيرًا فى أدب الفرس الحديث.

ولم تكن صداقة «النظام» لسلطانه واعتداده وفخره بها، ولا منصبه الخطير الذى يستوجب رضا السلطان عنه، وتقريبه له، ولا حاشية السوء المحيطة بالسلطان والتى تحاول الوقيعة والتنكيل به، لم تكن جميع تلك الدواعى بالتى تدعوه للمواربة والمداجاة والملاينة والريّاء، ولا هى بالتى تمنعه وتصدّه عن صراحته له بمساوئ الحكم القائم وإعلان نقائصه وأخطائه وتقديم الأمثلة الشواهد بين يديه.

ولعل قداسة تلك الصداقة ورعايته لحقوقها واعتماد والد السلطان عليه وتوصيته به عند وفاته ودالته عليه فى أعماله العظام لاستقرار المملكة وامتداد حدودها، ثم إحساسه بدنو أجله[2] وشعوره بفضاضة العيش معه ومشاهدته تردى الوضع بعد تخليه أو ضعف مركزه. كل تلك الدواعى كانت أيضًا من أسباب صراحته وجرأته.

(١) سياستنامة ف ٣ ص ٥.
(٢) أرنولد ـ الخلافة ص ٧٣ (الترجمة) دار اليقظة العربية.

أقسامه وتميّزها بالأمثلة والأقاصيص :

لقد قسّم الكتاب إلى خمسين فصلاً ـ كما رأينا من قبل ـ وقد رتّب فصوله حسب أهميتها لديه مبتدأ بنظرية ـ الملك والعقد الإلهى ـ التى نالت اهتمامًا كبيرًا فى ذلك الوقت[1]، ثم يذكر واجبات السلطان وتبعاته ثم يتدرج فى النظم الإدارية من القصر الملكى وحاشيته وموظفى الدولة إلى مؤسسات الجيش وقواده والسفراء والقضاء والحسبة إلى مكاتب الإنشاء وخزانات المال، بحيث لم يختم فصلاً إلاّ ويمهد لتاليه قبل أن يبدأ به.. وهو تسلسل منطقى روعى فيه وحدة الموضوع غير أنه لم يخلص من التجزئة والتفريق بين بعض الفصول بحيث يمكن ضمّها[2]، وأخرى يمكن تقديمها وتأخيرها لتكون أدنى إلى وحدة الموضوع وأقرب إلى تسلسل الفصول.

نحن لا ندّعى وحدة كاملة للموضوع تتجلّى فى تسلسل عناوينه، واتساق فصوله وانسجام آرائه دون اختلال، وإنما نعتقد أنها ليست مفقودة إذا ما أراد القارئ أن يتلمسها وربما روعيت من قبل المؤلف إلى حد كبير.. كما لم يكن صعبًا عليه أن يلاحظ ظاهرة التكرار، فهو يروى الحديث فى فصل ثم يثبته فى آخر، وبلفظ آخر، وهو يسجل الفكرة فى مناسبة ويذكرها فى مناسبة أخرى بشكل آخر[3] مما يميل بنا إلى أنه لم يؤلفّه فى وقت واحد، وأنه لم يمهله الزمن ليعيد فيه النظر ويحذف منه الحوشى والفضلة والمكرّر.. وكان كذلك سهلاً على القارئ أن يلاحظ التهويل والتطويل وبخاصة فى أقاصيصه فإنه يغرق فى المعانى والصور التى يستعرضها، إذ يمعن فى عرض التفاصيل التى يود إبرازها[4].

---

(١) سياستنامة ف ٥٠ ص ٢٦٩.

(٢) سياستنامة ف ٣١، ٣٢ وكلاهما فى الجند والسلاح، وكان من الممكن جمعهما بعنوان واحد.

(٣) من أمثلة التهويل: قصة أمر السلطان بجلد الأمير ـ أمام ـ باب القصر ألف جلدة، وبذله جميع ما يملك وتوسيطه خمسمائة شفيع وافتدائه من تلك السياط الألف بألف دينار نيسابورى فلم يجد نفعًا. وعدد الجيوش فى قصة أخرى يبلغ مائة وخمسين ألف جندى، وفى ساعة واحدة قتل جيش ألب تكين ٢٥ ألف محارب ـ ف ٢٧.

(٤) مثل حكاية أنو شروان مع أحد ولاة الإقطاع ص ٢١، وحكاية المعتصم مع أحد أمرائه الأتراك، وقصة السلطان مع شاكيه من لصوص دير الجص.

وهو فى تكراره ومبالغته فى عرض الأمثلة كمن يدافع عن نفسه أمام سلطانه، فيطلب إليه بثّ العيون والأرصاد حول الوزير وسائر الموظفين وإنزال أقسى العقوبات بعد التأكد الشديد من خيانتهم ويسرد له القصص العديدة بهذا الشأن[1].

وقد لجأ إلى القصة حيث لم يخف عليه أثرها فى النفس وسيطرتها على الحس فاقتبس من مأثور الماضيين واتخذ من مسموعاته وتجاربه قصصًا للعظة والتذكير وليس للسمر والترفيه لأنها ليست القصد من وضع الكتاب، ولكن حين يجدها مؤثرة خلابة وتتصل بالموضوع فيتمثّل بها[2].

وقد استغل طائفة من تلك القصص لتعكس صورًا من ذكرياته ومشاهداته فى أيام صباه وكهولته وصاغها بأسلوب بلاغى أخّاذ تقصر عن بلوغه الترجمة إلى أى لغة أخرى، فقد شهد ببصره ذلك الصراع العنيف بين أجناد ـ سلجوق ـ فأصبحت البلاد شيعًا وأحزابًا وعمل من أجل القضاء عليه إلى أن وحّد الصفوف وأخضع المتمردين وشهد ببصيرته ما يكيد له منافسوه حينما لمسوا حدّة ذكائه وعمق تفكيره، وبُعد نظره فى تدبير أمور الدولة وشئون السلطان، فنأى بنفسه يتلمّس بيديه مكائدهم ويلتمس لهم العذر فلا يجده غير عابئ بما يصيبه لثقته بأن هذا لا يضيره أو يحط من قدره..

ويدت هذه الانفعالات جميعها واضحة على أقاصيصه واستشهاداته، فهو يطرى عهد ـ ألب أرسلان ـ حيث كان «النظام» قويًا مسيطرًا فيه على كل شىء لا يستخدم فى وظائف الدولة غير المسلمين ويأتى بالأمثلة على ذلك[3]، وهو يستعرض بلهجة مؤلمة حزينة أحداثًا مرّت فى حياته السياسية أيام ـ ملكشاه ـ واختلافه معه فى تسريح الجيش وخزن الأموال ويورد له الشواهد من القصص لأنه يريد أن تدخل فى طاعة السلطان بلاد الحبشة والبربر والروم ومصر

(١) سياستنامة ص ١٩، ٢٠.

(٢) سياستنامة ف ٤٤ (الأصل الفارسى).

(٣) سياستنامة.

والمغرب، ذلك لأنه مازاد للسلطان جيشه إلاّ زادت ولايته[1]... ثم هو يصوّر لنا أبطال قصصه أذكياء، يحتالون على المشكلة المعقّدة فيحلونها بدهاء السياسى، ولباقة الحكيم، ولابد أن يكونوا كذلك لأنهم ملوك وبيدهم زمام الأمور، ولابد أن يكون سلطانه واحدًا من هؤلاء إن لم يكن فى طليعتهم خصوصًا وأنه لا يقل عنهم ملكًا ولا موردًا ولا يقصر عنهم دهاء ولا خبرة، فأنو شروان من الساسانيين وإسماعيل بن أحمد السامانى، وعضد الدولة البويهى ومحمود الغزنوى.. كل أولئك من أبطال قصصه الذين يتردد ذكرهم على لسانه مرات عديدة ويستشهد بمآثرهم وحسن سيرتهم ويتمثل بذكائهم وفرط نباهتهم فى معالجة القضايا المستعصية ثم إبلاغها إلى وزرائهم، فكان الملك منهم إذا احتال للمسألة ونجح فى حلّها دعا وزراءه وحاشيته وعقد مجلسًا لذلك وعرض الأمر عليهم من بدايته إلى نهايته حتى يعلموا أن الملك عليم بما يجرى فى داخل بلاده، وأنه يسهر على مصالح رعاياه حريص على دفع الظلم عنهم ومعاقبة الظالمين[2].

وكان يتصرف فى القصص فيضيف إليها ما يراه مناسبًا أو يحقق له مقصدًا كدفاع عن تهمة وجهت إليه وسمع بها، أو اتهام لمناوئ يريد التنديد به، أو تنبيه السلطان لخطر يحاك حوله كحديث أنو شروان العادل وقد ولّى الحكم وهو ابن ١٨ سنة عن أبيه قباذ، وكيف كان ينخدع تارة ببدعة مزدك وأخرى بأقوال الولاة والعمال وثالثة بالدرهم والدينار[3]. وأحيانًا يجود خيال «النظام» فيخترع الأقاصيص أو يسعفه التفكير فيزيد أو ينقص ما يتناسب والمقام فإن من القصص ما لم يرد فى كتب التاريخ، ومن بينها ما هو أقرب إلى الخرافات والأساطير[4].

---

(١) سياستنامة ف ٤٢ ص ١٣٩، وهو نص يورده ابن الجوزى وابن الأثير وغيرهما.

(٢) سياستنامة.

(٣) سياستنامة.

(٤) مثل: خاتمة قصة ـ عمرو بن الليث ـ سياستنامة ف ٢ ص ١١، وقصة الكلب التى يرويها الراعى لبهرام جور، وكيف عشق ذئبة وتزوجها.

وكان كما تدل الأقاصيص التى استشهد بها «النظام» عليمًا بأخبار الماضين عارفًا بتواريخ دول الفرس وسِير الخلفاء والمسلمين ويتمثل بصالحها وفاسدها على السواء، وقد يورد أكثر من قصة تاريخية على الفكرة التى يعرضها فى فصل واحد. ولعل كثرة الأقاصيص فى بعض الفصول من وضع النسّاخ وبخاصة ما ورد منها فى ـ نصيحة الملوك ـ للغزالى دون إشارة إلى المصدر الذى أخذوا عنه.. وكما أضافوا ـ كما نظن ـ فإنهم حوّروا وغيّروا فى بعض تعابيرها ـ وكان منها الخرافى الذى لا يصدقه العقل.

وبعد فإن أهداف «النظام» وفلسفته فى تأليف هذا الكتاب لا تجهد قارءه إن أراد تلمسها فهو يصوّر لنا الحياة كما ينبغى أن تكون، كما أنه لا يترك وصفها كما هى كائنة. وهويتذمر ويسخط للوضع السياسى الراهن ويوصى ويقترح باستبداله إلى ما هو أحسن، وهو يعتقد أن هذه هى رسالة الحاكمين وبخاصة الوزراء لأنه يرى أن الوزير أكثر أهمية من السلطان إذ لا يكون هو سوى رمز أعلى للسلطة الدنيوية، كما أن الخليفة رمز للسلطة الدينية وهذا ما حدا به لأن يؤلف كتابًا آخر سماّه بندنامة يضم بين دفتيّه مخاطر الوزارة وشرائط الوزير وواجبات الوزراء ويقدمه لابنه ـ فخر الملك ـ ليكون له نبراسًا يستضىء بنوره فى أداء مهمته وتحقيق غايته.

* * *